وثائق حزبية
من تاريخ البعث

قضايا العروبة في فلسطين ولبنان والسودان

من أوراق المؤتمر القومي 12
لحزب البعث العربي الإشتراكي
بغداد - العراق 1992

منشورات



الطليعة العربية في تونس

وثائق من تاريخ حزب البعث العربي الإشتراكي

فلسطين ... القضية المركزية

بقدر ما كان نصر العراق، في القادسية وام المعارك، عاملا حاسما لمرحلة تاريخية بكاملها ــ على مستوى الامة، فان الانتفاضة الشعبية الفلسطينية، قد حسمت بدورها مرحلة من مراحل تطور النضال الفلسطيني، ونقلته الى مستوى جديد، متكافئ مع طبيعة الصراع ومتجاوز لكل المواجهات السابقة، مع العدو الصهيوني.

وكلتا الظاهرتين تشكل مدخلا لمرحلة قومية جديدة، لانهما جاءتا تعبيرا عن طاقة مخزونة في الامة متجهة نحو المستقبل، بقدر ما كانتا تعبران عن الرفض لواقع التردي الذي انتهت اليه الاوضاع العربية السلبية.

ان نصر العراق قد حسم الصراع لمصلحة النهضة العربية، ليس مع العدوان الايراني حسب، بل مع العدوان الثلاثيني ايضا، وكشف العوامل التي كانت وراء حالة التدهور في الوضع القومي ــ داخلية ام خارجية .. لقد كان هذا النصر ثمرة جهاد غير منقطع مع اعداء الامة، وجهاد اكبر للعرب مع انفسهم.

وثورة الحجارة، كانت، بدورها، بعثا جديدا لروح النضال والصمود، وارادة التحرير لدى شعب فلسطين المجاهد، بقدر ما كانت حسما لواقع سلبي تعرضت فيه القضية المركزية للامة، وما زالت تتعرض لمحاولات التصفية والطمس والتشويه، على المستويين الداخلي والخارجي.

ان الصلة بين هاتين الظاهرتين القوميتين الايجابيتين المتجهتين نحو الارتفاع بالنضال وبالعمل الوطني والقومي الى المستوى التاريخي، بعد مرحلة طويلة من الانقطاع والهبوط عن هذا المستوى، هي الصلة بين روح الامة الواحدة وبين الساحات الاكثر تعرضا للعدوان في جسدها الكبير.

وقد شهدت المرحلة القومية، بدءا بالانفصال عام ١٩٦١، ثـم فـي (٥) حزيـران ١٩٦٧، وانتهاء في ٤ / ٩ / ١٩٨٠، تركيزا غير عادي من القوى المعادية للامة ضد هذه الروح المنبثقة من جديد.وكان الرهان تاريخيا وفي ١٧ / ١ / ١٩٩١، اصبح هذا الرهان مصيريا وحضاريا.

قبل المواجهة الظافرة امام العدوان الايراني المدعوم من الغرب والصهيونية، وقبل الصمـود المعجز في وجه العدوان الامريكي الثلاثيني، كانت المواجهات تتسم بطابع الانكسارات، منذ عـام ١٩٤٨، ومرورا بالخامس من حزيران ١٩٦٧.وكما يقول الرفيق القائد صدام حسين:ـ

((وطالما لا يحافظ المنكسر على تماسكه، فان عملية التدهور لا تقف عند حد معين، بل تـأخذ منحدرا خطرا)).

(حديث مع مجلة الدستور في ٢٣ / ٨ / ١٩٧٥)

وهذا ما افصحت عنه احداث تلك المرحلة التي جاءت تحمل معها المشـاريع الاستسلامية، والانحدار نحو مخطط المراهنة السلبية على مصير القضية الفلسطينية، والمصير القومي.

وكان حزب البعث العربي الاشتراكي يتابع مسيرته، ويبني تجربته الجديـدة التنظيميـة فـي العراق، محتفظا بتوازنه النضالي، بالرغم من تحديات تلك المرحلة السلبية، وبقي ـ كمـا يقـول الرفيق القائد ـ متمسكا بنهجه المبدئي، رافضا كل مسارات السلسلة التي اعتمدت اساسـا علـى منطق خاطئ، وضاع عليها اصل المنطلقات الاساسية للنضال القومي.

ففي القضية الفلسطينية، لابد، في جميع المراحل والظروف، من الاخذ بعين الاعتبار طبيعـة الصراع مع العدو الصهيوني، وانه، كما يقول الرفيق القائد المؤسس (صراع مصيري وحضاري).

((لقد ادرك البعث، منذ تأسيسه، طبيعة الصراع مع العدو الصهيوني، وانه صراع مصـيري وحضاري، واكد، منذ البدء حتمية المواجهة معه، وان النضال الشعبي هو السبيل الناجع للاعـداد لهذه المواجهة المصيرية .. ومن هذا المنطلق رفض البعث التسويات السلمية التي يـروج لـها البعض، لانها، بالضرورة، تخدم الكيان الصهيوني، ودعا الى نقل الوضع العربي الراهن، الى حالة جديدة مقتدرة وواعية لمسؤولياتها لازالة التناقضات التي هي سبب الضعف والانهزامية .. وفضح الادوار المزدوجة، التي تمعن في تمزيق وحدة المقاومة الفلسطينية وفي محاربة منظمة التحريـر، وفي ضرب المخيمات الفلسطينية بوحشية لا تقل عن وحشية العدو الصهيوني، وفي الضلوع فـي مخطط تصفية القضية من خلال تصفية شعبها)).

(الكتابات الكاملة ج ٥ ص ٨٠)

وعندما يكون الصراع مصيريا وحضاريا، فان ذلك يعني انه صراع مستمر وطويل، لابد ان يتناول مختلف جوانب التطور القومي خلال مرحلة المواجهة والحضارية ـ كما يقول الرفيق القائد صدام حسين:

((اننا نعتقد ان الصراع بين الامة العربية والكيان الصهيوني سيستمر لفترة طويلة، وبما ان هذا العصر هو عصر العلم والتكنولوجيا، كما يسمى، فان نمو امكانيات الامة، على طريق العلم والتكنولوجيا يستوجب الاهتمام بالتنمية، كميدان تطبيقي لتنمية وتطوير الافكار .العلمية والتكنولوجية الخاصة بها، وذات الصلة بخصائصها الوطنية والقومية، وكذلك لتوفير الاسباب الاقتصادية اللازمة لمواجهة الاحتمالات السياسية والعسكرية، المرتبطة بهذا التصور، أي تصور ان الصراع سيستمر بين الامة العربية والعدو الصهيوني، ومن خلفه الامبريالية التي تعمق هذا الصراع وتدعمه.

(المختارات ـ ج ٥ ـ ص ٣٦)

فأمام هذا المستوى من الصراع الذي يتوقف عليه مصير نهضة الامة في هذا العصر، انكشفت، منذ عام ١٩٤٨ صور التخلف والمفارقات السلبية في مستويات المواجهة، على الصعيدين الرسمي والشعبي، فالانظمة العربية كانت، بوجه عام، ترى في قضية فلسطين: ((اما عبء، فتهملها، او مجالا للانتفاع فتستغلها ((كما يقول القائد المؤسس في الذكرى الحادية والاربعين لتأسيس ٧ / ٤ / ١٩٨٨.

فالمرحلة التي سبقت انتفاضة الشعب العربي في فلسطين في ٧ كانون الاول من عام ١٩٨٧، حملت معها الآثار السلبية لتلك المرحلة.وقد كان ((الكلام عن السلام بدون مضمونة الحقيقي، والتذرع بالمعاني النبيلة للسلام، هذه الامنية الغالية عند الشعوب بعامة، وعند الامة العربية التي تحمل رسالة انسانية بوجه خاص، لتبرير موقف استسلامي، انهزامي مشبوه .. كان ذلك وجها من وجوه المؤامرة الاستسلامية، والتآمر على المستقبل)) كما يقول الرفيق القائد المؤسس في كلمته في الذكرى الاربعين لتأسيس الحزب.

فالتاريخ الحديث، كما يقول الرفيق القائد صدام حسين يشير الى ان ((الحاكم العربي، عندما يتحدث عن المرونة يبدأ بالتراجع او التقهقر، فليس في تاريخنا الحديث ما يشير اشارة بارزة، الى ان الحكام العرب قد تصرفوا في السابق بمرونة، ثم وثبوا الى الامام، في مرحلة اخرى وثوبا

نوعيا وثوريا.فالحديث عن (السلم) اذن دون تعبئة طاقات الحرب، ودون تقوية العوامل الاخـــرى التي تجعل الثقة بين الحاكم او القائد وبين الشعب وثيقة وقوية، وتجعل السياسة العربية ذات تأثير جدي في السياسة الدولية .. ان ذلك يكون، في نظر الخصم غطاء للتراجع او للردة)).

(المختارات ــ ج ٥ ــ ص ٧٢)

فالامبريالية تقدر ان الكيان الصهيوني، هو احدى وسائلها الاساسية لتعطيل تحريـــر العـــرب وتطورهم، في حالة عجز العرب عن ان يحولوا الصراع بينهم وبين العدو الصهيوني الى وسـيلة مركزية للتطوير وتثوير الواقع العربي)).

فالمؤامرة تتجه الى مايخرب اية حالة اقتدار عربي، لأن المطلوب هو ان يستسلم العرب الـــى قدرية ان مصيرهم يرسم من خارج ارادتهم، وان لا مناص من التسليم بهذا .. فـــالمؤامرة علـــى القضية الفلسطينية، كانت تتخذ من العجز العربي، منذ عام ١٩٤٨، دليلا على ثبات هذا العجـــز، ومستندا لتعميم ايحاءاتها السلبية، التي قامت على اساسها سياسات الانظمة العربية التـــي لعبت دورا مساعدا على المشاركة في التآمر على مصير القضية الفلسطينية، وعلى النضال الفلسطيني، وعلى مرتكزات النهضة العربية وقوى النضال العربي)).

ولقد ساعد العالم الغربي الامبريالي الكيان الصهيوني على التوسع والعدوان في عام ١٩٦٧، في حين وقف العالم الشيوعي الى جانب العرب، وفق مفاهيم مساحة التأثير المتقابل على مستوى الصراع بين الكتلتين، والسعي لايجاد مرتكزات لمصالح دوله في الوطن العربي، مقابل المصـــالح الغربية فيه.واستمرت السياسة الكونية على اساس وجود قطبين متوازيين في القوة، هما القوتـــان العظميان: اميركا والاتحاد السوفياتي.وفجأة تغير الحال، وانكفأ الاتحاد السوفياتي يعالج مشـــاكله الداخلية، وتزحزح عن الموقع المتكافئ مع امريكا من الناحية العملية)).

فما حصل من تطور في السياسة الدولية، قد اطلق يد السياسة الامريكية في الضغـــط علـــى السوفييت، مستغلين ظروفهم الخاصة، ليدخلوا مؤامرة دعم هجرة اليهود السوفييت بموجات لـــم تشهد مثلها عقود الزمن الماضية الى ارض فلسطين، ضمن اتفاقاتهم الثنائية مع السوفييت.

ونحن العرب، ومن موقع الصداقة الطويلة مع الاتحاد السوفياتي ما كنا نتوقـــع ان يرضـــخ السوفييت لمثل هذا الضغط الامريكي، وبما يوصل الامر الى هذه النتائج الخطـــيرة علـــى العـــرب وامنهم القومي، وقضيتهم المقدسة في فلسطين.

وهذا يؤكد قناعتنا الدائمة بان فلسطين التي اغتصبت بتخطيط وتدبير متقنين، لا تسترجع الا بتخطيط وحدوي يعتمد، اساسا، على جهاد ابناء فلسطين الذين برهنوا انهم قدوة في الاصرار على أحقاق الحق، والاستعداد للتضحية.

وجاءت الانتفاضة، لتكمل، على الساحة الفلسطينية، ما سبق لتجربة البعث الثورية في العراق ان فعلته على مستوى المواجهة مع العدوان الايراني، والتحالف الذي جمع القوى الامبريالية والصهيونية والشعوبية الايرانية، للتآمر على قلعة النضال العربي التي شادها العراق، وتسجل من خلالها الحقيقة المناقضة للاوهام والاعلام والمخططات التي راهنت على مصير النهضة العربية ومصير القضية الفلسطينية.

جاءت الانتفاضة، فوضعت الامور في نصابها، بتسلم الشعب صاحب القضية قضيته، وصححت مفاهيم خاطئة، وفضحت مزاعم للصهيونية، عبئ بها الرأي العام العالمي)) .. هذا ما يقوله الرفيق القائد المؤسس في الذكرى الحادية والاربعين لتأسيس الحزب عام ١٩٨٨.

هذه الانتفاضة، التي جمعت مقومين اساسيين للنضال الفلسطيني: المقوم الوطني المبني على الارتباط بالارض، وتاريخ النضال الفلسطيني، والمقوم العربي الذي يعبر عن الانتماء القومي، وعن مكانة قضية فلسطين في حركة الوحدة العربية، في مرحلة النهضة.

(في الذكرى ٤٢ / ٧ نيسان ١٩٨٩).

فالانتفاضة، اذن، كما المواجهة الظافرة للعراق، تعبير عن مرحلة تاريخية جديدة.

وفي ضوء حاجات هذه المرحلة تتحدد استراتيجية العمل القومي من اجل فلسطين.وهذا ما عبر عنه الرفيق القائد المؤسس بقوله في كلمته الاخيرة في السابع من نيسان ١٩٨٩:ـ

ان حزب البعث العربي الذي وضع، دوما، تحرير فلسطين هدفا ثابتا ومركزيا له، يحرص على تأكيد تمسكه بقضية التحرير الكامل لفلسطين، ويعتبر ان أي موقف جدي ومسؤول منها، لابد ان يأخذ بعين الاعتبار معيارين رئيسيين:ـ

أ.استعداد شعب فلسطين للنضال حتى التحرير.

ب.واستعداد الامة العربية الدائم لجعل قضية فلسطين قضيتها المركزية في نضالها على طريق الوحدة والنهضة.

ان هذه الاطر العامة لاستراتيجية حزبنا القومية، كما حددها الرفيق القائد المؤسس، قد تعززت من خلال الموقف المبدئي، الذي عبر عنه الرفيق القائد صدام حسين في مبادرته بتاريخ

١٢ / ٨ / ١٩٩٠، التي كشفت الازدواجية في السياسة الدولية، وكانت امتحانا لجميع المواقف والسياسات الضالعة في مخطط تصفية القضية الفلسطينية، والرافضة لاي حل يقوم على اساس الفهم المطابق لحقيقة الصراع، والفهم المتكامل لابعاده وللسلام العادل في المنطقة.فهذه النظرة الستراتيجية القومية تأخذ مداها في النظرة الى المراحل القادمة.والى المسافة التي تقوم بين واقع اليوم، وبين هدف التحرير.وقد جاءت كلمات الرفيق القائد صدام حسين التي تحدد المنطلقات الستراتيجية للعمل القومي بالنسبة للقضية المركزية ـ قضية فلسطين ـ قبل ذلك باكثر من عشر سنوات:

١. فلسطين التي نتمناها هي فلسطين خالية من كيان صهيوني مغتصب

.. ولكن بيننا وبين هذا الهدف مازالت المسافة بعيدة، ومن الممكن تغطية هذه المسافة ببرنامج تخطيطي صبور ومتفائل لاغراض الوصول اليه)).

(البعث والثورة والانسان١٣ / ٥ / ١٩٨٠)

٢.((ان عروبة الثورة الفلسطينية، هي اساس قوتها وتفاؤلها واساس نجاحها قطعا .. ان الامة العربية، هي مصدر الالهام الاساسي، ومصدر القوة الاساسي للثورة الفلسطينية ((فالتفاعل بين رافد الثورة العربية في اختصاصها الفلسطيني، وبين الروافد الاخرى للثورة العربية.أي بين الثورة العربية بمعناها الشمولي، وبين الثورة الفلسطينية في خصوصيتها الوطنية، اساس للوصول الى الهدف الواحد، وليس الهدف المشترك، وهو تحرير فلسطين.

(المصدر نفسه)

٣.((لابد من ادخال الحالة الظرفية في كل عمل وكل خطوة .. واية صيغة تبدو معبرة عن ضمير الفلسطينيين والعرب في نضالهم التحرري، فنحن معها .. وهذا خط ثابت في منهج حزبنا لا تغيير فيه، ما دامت الفعاليات تتجه الى تحرير فلسطين.

(المصدر نفسه)

٤.((عندما توزع قضية فلسطين الى اوراق في سوق المساومة، فان النتيجة النهائية لهذا ليست ايذاء فلسطين جغرافيا فحسب، وإنما ايذاء القضية الفلسطينية والنضال القومي للامة العربية.

(حديث ٨ / ١ / ١٩٨٤)

ان هذه المنطلقات التي تحدد استراتيجية العمل القومي حول القضية الفلسطينية، تندرج ضمن اطار النظرة الشاملة للقضية العربية، قضية الوحدة والنهضة، لان النضال المفتوح للاجيال الشابة، ثوار الحجارة ومجاهدي ام المعارك، النضال الذي لا يحده افق آخر غير افق التحرر الوطني الشامل، والنضال الوحدوي على طريق نهضة الامة، هو جزء من النضال العربي، الذي يدخل بعد انتصار العراق وصموده التاريخي، مرحلة جديدة مطلة على مستقبل يصنعه النضال الذي صقلته التجارب وانضجته مراحل الكفاح الطويلة.

وهكذا فان المنطلق الاساس لكل ستراتيجية قومية في العمل الفلسطيني لابد ان ياخذ بعين الاعتبار الحاجة الى صيغ نضالية وحدوية تربط الظواهر المستقبلية الجديدة التي تشكل قاعدة الانطلاق نحو استراتيجية موحدة للنضال الشعبي في الوطن العربي، تساندها المواقف الشعبية في العالم الاسلامي، لتحرير القدس وفلسطين.

فالتجربة الثورية في العراق، والانتفاضة الفلسطينية، تحولتا، في نظر الجماهير العربية، على امتداد الوطن العربي، الى رموز قومية تؤكد صلابة الامة في مواجهة تحدياتها ـ فهي تجارب وطنية تجاوزت اطرها القطرية ودخلت في مرحلة جهادية جديدة، من اجل التخلص من سلبيات المراحل السابقة والارتفاع الى صعيد جديد، يحقق تجاوز جميع الاطراف لقيود تلك المراحل، والانطلاق بروح الامة المنتصرة على تحديات نهضتها لذلك اصبحت حالة الصعود هذه، كما تقول النشرة القومية (تموز ١٩٩١)، هدفا لمخطط العدوان).

وفي ضوء معطيات هذه المرحلة الجديدة التي هي بنت النصر، والصمود البطولي، والابعاث الخلاق لوسائل النضال والكفاح، والنهضة المتكاملة لعوامل النجاح .. أي في ضوء هذا المستوى الجديد من المواجهة للتحديات، وهذه الروح الانبعاثية المتجددة، تظهر جميع الطروحات السياسية في ضوء جديد، سواء على الساحة الوطنية او العربية او الدولية .. فالمؤتمر الاقليمي للسلام، الذي اعقب العدوان على العراق، مشروع امريكي صهيوني، يستخدم غطاء لتصفية الفلسطينية،

ولواد الانتفاضة، ولتسخير الاطراف العربية الضائعة في هذه المؤامرة لتوفير غطاء عربي كـاذب لها.

ان هذا المؤتمر هو امتداد لتلك الطروحات التي كـانت تتجاذبـها السياسـات الاستسـلامية والمؤامرات المتعددة المصادر، وتشدها نحو قاع التسويات المهنية والتصفيات المهلكـة .. فـهي تظهر، اليوم، بعد نجاح الانتفاضة ودحرها لكل القوى المتآمر عليها، ودحضها لمنطق الاستسلام، في صورة صراع بين منطلقين ونظرتين ومنهجين، احدهما يشكل امتدادا للروح السلبية للمرحلـة السابقة.

والآخر يأخذ شكل لنزوع مستقبلي، وتطلع الى الاهداف الاساسية، مستند الى الثقـة بـالنفس وبالامة.

لذلك فان التحالف العضوي، بين الانتفاضة الفلسطينية، وبين قوى النضال في الامة، هو الذي يحقق لها التقدم نحو الهدف الجوهري ـ تحرير فلسطين ـ ويقطع الطريق على ذيول المراحـل السلبية السابقة التي كانت مطبوعة بطابع الصراع القومـي، فـي ان توهـن عزيمـة النضـال الفلسطيني، او تنحرف به عن النضال القومي المتجه الى تحقيق الوحدة، وبعث الامة.

فالمرحلة الجهادية لام المعارك، قد اعادت للمواقف المبدئية انطلاقتـها، وركائزهـا الحية المستندة الى حركة الجماهير العربية المتطلعة الى تحقيق الاهداف التحررية والوحدويـة للامـة، بثقة اكبر، والتي تراهن على حتمية نجاح الأمة في تحقيق تلك الاهداف، ما دام النضال في الأمـة قد صار رسالة في جزء من الوطن العربي، وهو في الطريق الى ان يعم علـى مسـتوى الامـة بكاملها.

ثم ان النضال العربي الفلسطيني لا بد ان يأخذ، بعين الاعتبار، التطورات الهامة التي حدثـت على المستوى الدولي، والتي تشكل منعطفا هاما في مسار العلاقات الدولية، وفي موازين القـوى العالمية وانعكاسات تلك التحولات على الساحة العربية، لانها قد ادخلت عناصر جديدة على التحليل السياسي والنظرة الستراتيجية ومتطلبات المواجهة للتحدي المصيري.

فقد كان النضال العربي الفلسطيني، منذ اواسط الخمسينات، يجد له، في الساحة الدولية، قوة دولية تسانده وتؤيده، ممثلة في الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية التـي كـانت تتحـدث عـن المبادئ، وتؤيد الحق الفلسطيني والموقف العربي، دون ان يصل تأييدها ودعمـها الـى حـدود

التهـ ذي للجانب الصهيوني .. واستمر ذلك منذ عام ١٩٥٥ حتى السنوات الاخيرة التي شهدت التطورات الجديدة في الكتلة الاشتراكية، فأصبح التعبير عن المصالح اقوى من التعبير عن المبادئ، اذا لم يكن بديلا لها.

ان هذه التطورات، بالرغم من مظهرها السلبي فان جوانبها الايجابية ينبغي ان تستخلص من مسيرة الاحداث، وان توظف في خدمة القضية القومية، فاذا كان الصراع بين الكتلتين الرأسمالية والاشتراكية على امتداد المرحلة السابقة قد حرم القومية العربية من فرصة التعبير عن هويتها ومبادئها وقيمها في المحيط الدولي على نطاق واسع وعميق، ومن ان تأخذ طريقها الخاص المجسد لفكرتها، فأن الفرصة قد جاءت لكي تعبر القومية العربية عن ذاتها وعن خصوصية افكارها وعن مبادئها ومصالحها، واصبحت افضل من ذي قبل.

فتحرير القومية العربية من توزيع الحصص الدولية، وتحرير الموقف القومي من عوامل التشويش عليه، يعتبر من الجوانب الايجابية الهامة لتلك التطورات الدولية.

فالرؤية الستراتيجية القومية المستقبلية ينبغي ان تستوعب المعادلة الجديدة للعلاقات الدولية، وانعكاساتها على القضية العربية بوجه عام، وعلى القضية الفلسطينية والموقف العربي بوجه خاص، وعلى الصعيدين الرسمي والشعبي .. فالوطن العربي اصبح مركزا اكثر حيوية، سواء بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية، او الكتلة الاوربية، او اليابان والصين. ان الولايات المتحدة والغرب، بوجه عام، والكيان الصهيوني الذي زرع في قلب الوطن العربي لعرقلة الصعود العربي والقوة الجديدة في حياة العرب التي باتت تحدث قلقا لدى الكيان الصهيوني، لم تعد قادرة على تجاهل قوة الصمود والتصميم الجهادي اللذين كشفت عنهما ام المعارك .. ففي حومة ام المعارك ـ كما تقول النشرة القومية (تموز ١٩٩١) (أعادت القضية الفلسطينية الى موقع الصدارة، باعتبارها القضية المركزية في الصراع العربي ضد الامبريالية والصهيونية) .. ان الزمن والمستقبل يتجهان نحو خلق حالة صعود لصالح العرب، ومن طرف آخر، تصبح طاقات الكيان الصهيوني، اكثر من أي وقت مضى، تشكل حاجة اضافية لصالح امريكا والغرب ..

في الوقت الذي تحاول فيه الدولة الصهيونية ان تستغل هذه الحاجة والقوة المرجحة لامريكا في الصراع الدولي لصالحها في المرحلة الراهنة، الى اقصى حدود الاستغلال.

لذلك فان احتمالات الصراع العربي الصهيوني سوف تتأثر بهذا الواقع، وتفرض على النضال

الفلسطيني والعمل العربي، مستوى كفاحيا جهاديا اعلى.

لقد اعلن حزبنا، بوضوح، عبر ممثلي جبهة التحرير العربية في المجلس الوطني الفلسطيني وفي المجلس المركزي الفلسطيني، عن رفضه لمسيرة التسوية التي تقودها الولايات المتحدة الامريكية، والتي ابتدأت بمؤتمر مدريد، لانه يرى في هذه المسيرة استسلاما لا ((سلاما))، فالهدف من المفاوضات الجارية هو السعي لعملية تأطير قانوني لامر واقع، ترفضه الامة العربية، وارغام العرب على الاعتراف به والتعامل معه، على حساب الحقوق المشروعة للامة العربيــة ولشعب فلسطين بالذات.

وهكذا فانه، في الوقت الذي قد تستسلم فيه بعض الانظمة، فأن الامة العربية لن تستسلم، ولسوف تظل ترفض الاستسلام.اما السلام فهو مطلب الامة، وهو يتحقق فقط عندما تمتلك الامة ارادتها الحرة والقوة اللازمة لفرض هذه الارادة، وهو مطلب يقوم على الحق والعدل، وعلى استرجاع الحقوق المغتصبة، وفي مقدمتها حق الشعب الفلسطيني في ارضه ووطنه.

واذا كانت هذه هي ارادة الامة فأن العبء الاساسي في تحقيقها انما يقع على عاتق المناضلين المخلصين من ابناء فلسطين والامة العربية، وفي طليعتهم المناضلون البعثيون ومقاتلو جبهة التحرير العربية، الذين يتحملون المسؤولية الاولى في ترسيخ البعد القومي للنضال الفلسطيني في المرحلة المقبلة، وفي استنهاض قوى النهوض في الامة، من خلال التضحيات الجهادية، وفتح الحوار مع كل الفصائل والقيادات التي تلتقي طروحاتها مع طروحاتهم، بما فيها بعض التيارات الدينية، التي ترفع شعارات مشابهة لشعارات البعث في ما يتعلق بمسألة التحرير، بهدف الوصول الى وحدة صف نضالية، تقوم على وحدة في الرؤية لأطماع الاعداء ومخططاتهم.

لبنان ... العروبة المغدورة

كانت لبنان، منذ بدء النهضة العربية المعاصرة، مركزا من مراكز التفاعل والتنوير في الحياة العربية.

وقد تنبه الكيان الصهيوني مبكرا لهذا الدور الكبير الذي لعبه لبنان، على المستويين القومي والحضاري، وللتأثير المتميز لهذا الجزء من الامة على المستوى الدولي، لأنه كان يمثل الصورة والتألف الداخلي والتعامل بين اسره الروحية، فلبنان كان يكشف عن المحتوى الانساني والحضاري للقومية العربية، وبالتالي يفضح الطابع العنصري للكيان الصهيوني.

لذلك تركزت المؤامرة على لبنان، وعلى وحدته الوطنية وسيادته ودوره القومي والحضاري، واخذت طابعا متفردا في التآمر، تخطيطا وتنفيذا، بلغ حد الاجتياح الصهيوني لنصف الاراضي اللبنانية، بما فيها بيروت، والاستقرار في شريط حدودي واسع .. فقد وضع لبنان، منذ اواسط الخمسينات، على لائحة الاولويات في المخططات العدوانية الصهيونية التي شاركت فيها قوى دولية واقليمية، بل حتى بعض الانظمة العربية .. وكان الهدف من هذا التآمر على لبنان ان يتخذ من هذا الجزء من كيان الامة مدخلا لتعميم المؤامرة على اقطار الوطن العربي، وعلى نسيج الحياة القومية وصولا الى تفتيتها والى رسم حدود جديدة للتجزئة، هي حدود الطوائف والمذاهب، واغتيال روح النهضة في الامة.

لذلك انصبت على لبنان نقمة الصهيونية وحلفائها، وتجمعت فيه كل المؤامرات واصبحت ازمته تلخيصا لقضية الامة في صراعها مع اعداء نهضتها ووحدتها ونزوعها الحضاري.

لقد وصف الرفيق القائد صدام حسين الوضع في لبنان، في خطابه القومي في الذكرى الحادية والعشرين لثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨ المجيدة بقوله:

((ان اشد الجروح ايلاما في الوضع العربي الراهن هو الوضع في لبنان)).

وذلك لأن ((ظلم ذوي القربى اشد مضاضة)) فالنهج المنحرف الذي يسلكه النظام في سوريا، ازاء لبنان والظلم الذي يفرضه على هذا البلد العربي،وعلى شعبه، بكل فئاته وطوائفه، يجعل منه ـ كما يقول الرفيق القائد ـ ((الطرف الاساسي المسؤول عن خراب لبنان وتدميره وشر ذمته)).

فهذا النظام، بتحالفه المكشوف مع ايران في احتلال لبنان وامتهان سيادته، وتحالفه موضوعيا مع المحتل الصهيوني، قد نسف الثوابت القومية، وداس على كل القيم، لذلك فأن المسؤولية القومية تتطلب مواجهة هذا النهج المنحرف، والالتزام بمبادئ الدفاع عن سيادة لبنان ووحدته الوطنية، وحماية شعب لبنان العربي من الظلم والعدوان الواقع عليه ..

بهذه العبارات لخص الرفيق القائد صدام حسين ما يعانيه لبنان ووصف جرحه العميق الذي ما زال ينزف، منذ سبعة عشر عاما.

وكانت الاحداث اللبنانية في السنة الاولى من اندلاعها، عندما توقف الرفيق القائد المؤسس في كلمة السابع من نيسان ١٩٧٦ عند طبيعتها، حيث قال:

((ولعل ما يشهده القطر اللبناني هذه الايام يمثل ابرز صورة لهذا الجو العربي .. ان ما يجري في لبنان ليس حربا طائفية، ولا هو صراع طبقي، وإنما هو صراع بين الامة واعدائها ..

صراع بين التقدم والتخلف، صراع بين الوحدة والانفصال، صراع بين النزوع والتوجه الى الحضارة العربية الاصيلة وبين تبني الحضارة الزائفة المصطنعة القائمة على النقل والتقليد .. صراع بين الصمود والتخاذل .. ان هذا الذي يجري في لبنان يعزز نظرة الحزب الى القضية العربية، بأنها قضية حضارية شاملة لكل نواحي الحياة، وانها لا تقتصر على الناحية السياسية، أو الاجتماعية، وإنما هي بحاجة الى معالجة عميقة وشاملة، تتناول المجتمع العربي والانسان العربي، من جذوره التاريخية والفكرية والنفسية .. ان مشكلة لبنان مع العروبة ليست الا مشكلة تقدمية العروبة)).

(الكتابات الكاملة ج ٣ ص ١١٤)

هذا عن طبيعة المسألة اللبنانية، فقد انصبت مؤامرات كل اعداء النهضة العربية على هذه النقطة المضيئة من واقع الامة، تماما كما فعلت بالنسبة الى العراق، وكما فعلت وتفعل دوما بالنسبة للقضية الفلسطينية .. لأن رموز النهضة العربية تشكل تهديدا خطيرا لها، ولمخططات العدوان، صهيونية كانت ام امبريالية او شعوبية .. واستعان هؤلاء الاعداء بكل من راهنوا على الاوضاع السلبية داخل الواقع العربي، ليلعبوا ادوارا ينوبون فيها عن الاعداء، كنظام الردة في دمشق.

فأصل المشكلة اللبنانية يرجع الى ما حصل في لبنان، بعد نكسة الخامس من حزيران من ((ولادة ثورية في القطر اللبناني، لم تأخذ شكل الانقلاب المفاجئ، بل التفاعل البطئ العميق مع النكسة القومية، واخذ لبنان، يوما بعد يوم، يصبح متنفس الضمير العربي الجريح والفكر العربي الثائر، ومسرحا للنضال الشعبي الملتزم بالعروبة والمتوجه نحو فلسطين ..)).

(الكتابات الكاملة ج ٣ ـ ص ١٣٠)

فما حدث في لبنان، في المرحلة التي سبقت الانفجار، ليس في النتيجة سوى مظهر من مظاهر التقدم على طريق الثورة العربية، لأنه بلور قضية الصراع العربي الصهيوني، وكرس عروبة لبنان .. كذلك جاء المخطط الاستعماري الصهيوني في شكل هجوم معاكس، استغل نقاط الضعف داخل الواقع اللبناني، واستعان بقوى عربية ضالعة في هذا المخطط، لضرب وحدة لبنان، والعدوان على سيادته، واحتلال ارضه، وتفتيته، وتعطيل عوامل النهضة فيه.

وقد حشد المخطط المعادي للبنان وعروبته ودوره النهضوي قوى تفوق طاقة لبنان على مواجهتها، لأنهم ارادوا ان يجعلوا من لبنان امثولة ومختبرا .. بدأوا بالتفجير الطائفي لانه السلاح الاكثر خطورة عملية التزييف، والتعمية على المؤامرة الحقيقية. وكان لبنان المسرح الاكثر

مأساوية للاستغلال الطائفي، وهذا الوجه الطائفي القبيح الذي اصطنعوه للبنان لا يرجع ـ كما يقول الرفيق القائد المؤسس (المؤلفات الكاملة ج ٣ ص ٢٣٢) ـ الى اكثر من السنين الثلاثين الاخيرة، فالتاريخ يقدم لنا صورة لبنان آخر، لبنان المحبة والشيم العربية والتفاعل القومي، والانفتاح الحضاري، وطليعة النهضة العربية .. ولكن المخطط الصهيوني اعتمد نهجا ثابتا منذ اغتصاب فلسطين لتعميم التجزئة الطائفية، واشغال العرب بتناقضات مفتعلة، ثم كان التأثير الواضح للنظام الشعوبي الايراني، في تغذية العصبيات الطائفية واستغلالها لهدم صرح لبنان .. كل ذلك قد انضاف اليه تدخل نظام حافظ اسد كأداة مباشرة لتنفيذ هذا المخطط الصهيوني الاستعماري، بأسم لبنان واللبنانيين، كما سبق ان فعل بالنسبة للبعث في سورية، وبالنسبة للمقاومة الفلسطينية والمخيمات الفلسطينية في لبنان فسياسة نسف النقاط المضيئة في الحياة النضالية العربية من داخلها، وزرع الانقسام والتفتيت، ثم بسط السيطرة والتحكم بمصير القضية العربية، بعد القضاء على رموزها ومؤسساتها النضالية .. هذا المنهج الثابت الذي يكشف عن الحقائق العميقة المغطاة بصور زائفة خادعة، لأنظمة قادها الهوس للعب الادوار الكبيرة، للسيطرة على الامة العربية، ووضع قضاياها الكبرى في ايدي اعدائها، كالنظام الشعوبي الذي يحكم سورية، والنظام الشعوبي الايراني الذي يتعامل مع نظام حافظ اسد، كما تتعامل الامبريالية مع الكيان الصهيوني، هما معا يلتقيان مع المخططات الامبريالية والصهيونية لقاء حتميا، لأن دورهما التخريبي الذي بدآه في بلديهما وشعبيهما، وعلى المستوى آلايدلوجي، لابد ان يصب في خدمة الاعداء.

وهكذا فقد تحمل لبنان ضغوطاً غير اعتيادية، فتفجر، وهو يعاني من الآلام ما يضيف الى مأساته الوطنية والقومية طابع المأساته الوطنية والقومية طابع المأساة الانسانية.

وقد استطاعت عوامل التزييف التي مارستها قوى كثيرة، وفي مقدمتها نظام حافظ اسد، ان تدخل تعقيدات خاصة على المشكلة اللبنانية .. بلد تحتله جيوش، لا يدري ايها اكثر شراً وحقداً وعداءً، وتتداخل سياسات وتأثيرات ومسرحيات لا حد لفصولها، فهو لا يعرف على اية جبهة يحارب، وكيف يشخص العدو والطريق لمواجهته.

وقد وصف الرفيق القائد صدام حسين هذا الواقع المأساوي اللبناني، عندما تكلم عن طرفي المؤاه.ة على العراق وعلى لبنان، وعن صمود العراق الذي وصفه بأنه ((اقل مخاطر من الصمود في لبنان، لسبب هام، وهو ان:

((الامر يختلف في لبنان، فمسرح العمليات غير ملائم، والتداخل في الخنادق قائم في كل ساحة بين الجمهور واعدائه، بين المخلصين والسيئين، بين المبدئيين ورجال السياسة.ورغم ان

الثبات عام في الخواص الوطنية في ضمير شعب لبنان، لكنه يتغير، نسبيا، عندما يـأخذ اطـوارا اخرى، فحتى صيغة المواطنة تتغير، نسبيا، عندما تأخذ صيغة الانتماء الى حركة سياسية، وعندما تأخذ حالة الارتباط بحركة طائفية، او الارتباط بخصوصية محلية .. فهذه التعددية الواسعة التـي كثرت مداخلها على الشخصية اللبنانية تجعل امكانية الاعداء في ايجاد المتناقضات، بيـن الحالـة الاصلية لشخصية المواطن اللبناني، وبين فرعياتها، ممكنة في كثير من الاحيـان .. ان عمليـة الفرقة في لبنان اخذت اشكالها المرئية الملموسة .. وتكاد تتكرس بصيغة كيانات ثابتة، تعبر عـن المعاني المنحرفة لها بغياب مركز الاستقطاب القادر على صهر الخصوصيات وتحويلها الى عـامل قوة)).

(المختارات ج ٢ ص ١٨١ ـ ١٩٠)

لذلك فأن صمود لبنان يبقي الامل قائما، وما المقاومة الوطنية اللبنانية والاسلامية الا تعبير حي عن ارادة الصمود، لأن، الكثير من الحالات المضادة في لبنان هي، كما يقول الرفيـق القـائد صدام حسين ((مرتبة ترتيبا فنياً، والترتيب الفني ينتهي بمجرد تغير الظروف المحيطة به، فلابـد لهذه الظروف ان تتغير .. فالصهيونية كانت تبني آمالها، وما زالت، على الاطمئنان المطلق فـي ان كل مخططاتها تسير، تماماً، مثل ما صممتها هي للوطن العربي، ولأمة العرب، وليس فقط على الفاصلة بينها وبين العرب علميا وتقنيا وحضاريا، وعلى الخلافات بين العـرب وهـذا، بالدرجـة الاساس، هو الذي جعل هذا الكيان مزروعا في وسط الوطن العربي .. ولكن مع الزمـن سـوف تتقلص الفجوة العلمية والتقنية بين الكيان الصهيوني والعرب، بل هي تتقلص بأسرع مما كـانت تتوقعه الصهيونية ..ونظام حافظ اسد سيبقى يحصد المزيد من الفشل في لبنان .. فهو قد استهلك جانبا مهما من امكاناته الفنية، وغطاء الزيف الذي كان يتستر خلفه، وبالنتيجة سوف تتكدس كـل الامور، وتتحول الى ركام يهشم هذا النظام الذي كبر وشاخ، فليس بأمكانـه ان يغفـل المشـاعر الوطنية لشعب لبنان، وان يتجاوزها، ولذلك فأنه يعيش مأزقا حقيقيا في لبنان، لأنه يفرض حالـة شاذة عليه.

((نفس المصدر))

لقد جاءت الاحداث في السنوات الاخيرة، لتكشف موقف النظام الذي فـرض علـى سـورية تشويها كاملا لتاريخها وحقيقتها القومية، والطبيعة الشاذة والمصطنعة لـهذا النظـام الشـعوبي المحروم من السند والقناعة الشعبية، كما يقول القائد المؤسس ((الكتابات الكاملة الجزء الخـامس ص ٨٣)).وكشف موقفه الحليف والمساند لأيران عن جوهره الشعوبي، كما كشف موقفـه مـن

المقاومة الفلسطينية ومنظمة التحرير عن ضلوعه في المخططات التصفوية للقضية الفلسطينية، وكان موقفه من لبنان كاشفا لتحالفاته الدولية المعادية للأمة))، لقد انكشفت حقيقة هذا لنظام للجماهير العربية، داخل القطر السوري، وعلى امتداد الساحة العربية، وحكمت عليه حكمها الوطني، ولن تنفعه محاولاته المخادعة للتظاهر بأدوار وطنية وقومية مفتعلة في التمويه على حقيقة كأداة بيد المخططات الامبريالية.

وقد كان مقدرا لمعاناة لبنان الطويلة، كما يقول الرفيق القائد المؤسس في كلمته الاخيرة في الذكرى ٤٢ لتأسيس الحزب عام ١٩٨٩، ان تطور فيه وعيا وطنيا وقوميا يصحح صورة الماضي ويشق طريق المستقبل، الا ان بوادر هذا الوعي كانت تصطدم دوما بمخططات معادية مختلفة المصادر وما تزال القوى المتآمرة على النهوض العربي وعلى دور لبنان في هذا النهوض .. الاحتلال الصهيوني والتدخل الايراني وتسلط نظام حافظ اسد والتواطؤ الامبريالي تعرقل كل محاولة لعودة لبنان، ولتأثيره الايجابي في حياة الامة العربية.

ان افشال هذه المؤامرة التي ارادت للبنان ان يغرق في الفوضى والتناحر والاقتتال هو مسؤولية قومية، لكي يعود لبنان الى وحدته ودوره القومي النهضوي الذي لا يمكن ان يحققه الرجوع بلبنان الى الوراء، والى العصور المظلمة، ولا الانتماء الغريب المصطنع القائم على التنكر للعروبة.

فلبنان لا يخرجه مؤتمر الطائف ـ الذي كان واجهة لصفقة امريكية صهيونية رجعية تمت بصيغة مماثلة، واو بشكل مصغر، لصيغة العدوان على العراق، ولنفس الاغراض ان هذا التآمر المغلف لا يخرج لبنان من مأساته، بل ان ما ينقذ لبنان ودوره الحضاري، ويحقق شخصيته هو الانتماء القومي العربي الذي يعتبر لبنان وتجربته جزءا اصيلا في النهضة العربية.

ان خروج لبنان من ازمته الطويلة الصعبة يتوقف، الى حد كبير ـ كما يقول القائد المؤسس ـ على مبادرات القوى الشعبية الحية من مختلف الاوساط والفئات، لأيجاد صيغة وطنية، تحظى بدعم عربي فعال، كفيلة بمواجهة صريحة وجريئة لهذه الازمة، تنطلق من استيعاب الدروس الماضية والحرص على وحدة لبنان واستقلاله وعروبته فثمة حالة قديمة من الاغتراب الحضاري، كان للقوى الاستعمارية باع طويل في خلقها وترسيخها، لا يمكن ولا يجوز ان تستمر في صورة لبنان المستقبل وثمة حالة طارئة جاءت بها ظروف المحنة وظروف التراجع العربي حاولت ان تمرر مخططات ايرانية، تعمل على زرع كيان اجنبي مضاف للكيان الصهيوني، بهدف اغتصاب

اجزاء من هذا القطر العربي، وللقضاء على دور لبنان واصالته وتقدميته، لابد ان تواجه بموقف وطني وقومي موحد)).

وعلى هذا الاساس فأن استراتيجية العمل من أجل تحقيق هذا الموقف، تتطلب عملين متكاملين على المستويين الشعبي والرسمي، يقومان على تحقيق الخطوات التالية:

١ ــ تشجيع جميع المبادرات اللبنانية التي تعبر عن ارادة الوحدة الوطنية في استعادة السيادة والقرار المستقل في الشأن اللبناني، وتحرير الارض اللبنانية من الاحتلال الصهيوني، والتدخل السوري، وتأكيد وحدة لبنان وعروبته وتقدميته، وفي مقدمتها المقاومة اللبنانية، الوطنية والاسلامية، التي هي الظاهرة الجدية الملموسة في النضال اللبناني.

٢ ــ دعم المواقف الوطنية التي تعبر بشجاعة عن صلابة في القناعة، وعن حسم في الاختيارات، لصالح بلورة موقف وطني مستند الى ارادة مجموع الشعب اللبناني.

٣ ــ رعاية حوار وطني عام بين مختلف القوى الشعبية، وانضاج شروط ادامة هذا الحوار، لخلق حالة شعبية جديدة محصنة من الارتهان والتبعية، وفتح افق جديد في التعامل فيما بين الفئات اللبنانية المختلفة، يعزز الاخوة الوطنية، ويستخلص دروس المرحلة، ويوظفها في ترصين موقف وطني لبناني عربي تقدمي.

٤ ــ الدعوة الى موقف قومي، تتآزر فيه قوى الحزب، والمقاومة الفلسطينية، والاحزاب العربية، والمنظمات الشعبية في الوطن العربي، لوضع استراتيجية نضال قومي، تضع قضية لبنان في موقعها الصحيح من النضال العربي، على طريق حماية المجتمع العربي من مخططات التجزئة والتفتيت، وبعث روح النهضة من جديد واعادة الأجزاء الحية في جسم الامة الى حيويتها، وانقاذها من المؤامرة التي تستهدف الامة، من خلال تعطيل دورها النهضوي.

السودان ... الجرح النازف

تتميز اوضاع القطر السوداني منذ استقلاله عام ١٩٥٦، بتوالي الهزات السياسية، واستفحال العوامل المهددة لوحدته الوطنية، وبتفاقم الازمات الاقتصادية .. الامر الذي يكشف عن الطبيعة

الانفجارية للمشكلات المتراكمة فيه، والتي كانت تفسح المجال امام شتى الاحتمالات السلبية، التي تتداخل فيها، المؤامرات الخارجية والممارسات الداخلية للسلطة، المعادية للديمقراطية، فضلا عن النشاط التخريبي لقوى الاستغلال والتخلف والفساد.

وقد مر السودان، خلال العقود الاخيرة، بسلسلة من الازمات، واتسم تطوره بتقطع المسيرة الديمقراطية، وشهدت اوضاعه، المعالم التالية:

١. تعاقب اشكال الحكم العسكري والمدني في دورات متلاحقة، بحيث تسلطت فيها الانقلابات العسكرية طوال ثلثي مرحلة ما بعد الاستقلال، تخللتها فترات قصيرة من (الحكم النيابي).

٢. استمرار الحرب الاهلية في جنوب السودان، عدا فترة قصيرة، وامتداد الاضطرابات الامنية الى انحاء اخرى من السودان.

٣. تردي الاقتصاد السوداني، نتجة لعدم الاستقرار، والحرب الاهلية، واختلال التوازن في توزيع الثروة وخطط التنمية، وتبديد موارد البلاد، مما ادى الى انكماش القطاعات الانتاجية وتزايد افقار السواد الاعظم من الشعب، على يد الفئات الرأسمالية الطفيلية.

٤. تفسح جهاز الدولة، وضعف اداء الخدمة العامة، جراء التضخم والبيروقراطية وضعف الكفاءة.

علاوة على ما تقدم فان تأثيرات الاوضاع الاقليمية على السودان الذي يحيط به قوس الاضطرابات الافريقي (تشاد، اوغندا، اثيوبيا) قد شقت طريقها الى السودان، على شكل تدفق موجات من اللاجئين، وساهمت في خلق وتغذية نزاعات محلية في مناطق التداخل على الحدود المشتركة .. تلك هي الظروف الموضوعية التي تتفاعل فيها عناصر الصراع السياسي والاجتماعي في السودان، فتكسبها ابعادا ستراتيجية وحضارية، وعلى طريق تحقيق شعارات العمل الوطني في التحرر والتقدم والديمقراطية والوحدة الوطنية .. استطاعت الجماهير الشعبية في السودان ان تظفر باسقاط نظامين عسكريين: تشرين اول ١٩٦٤ وآذار ـ نيسان ١٩٨٥، وان تتصدى لانحرافات الحكومات المنتخبة ومحاولاتها في الالتفاف على المكتسبات الديمقراطية، وان ترسخ، عبر ذلك، تقاليد نضالية عميقه الجذور، لذلك لم تنطل عليها محاولات النظام العسكري الجديد، الذي يشكل واجهة للجبهة الاسلامية، لفرض صيغ فوقية غير ديمرقراطية، على الحياة السودانية.

ان فشل الانظمة المتعاقبة في معالجة مشكلات الفقر والتخلف والتفاوت الاقليمي، وقعودها

عن السير في طريق التنمية المتوازنة والمستقلة، ونكوصها عن اصلاح النظام السياسي وترصين الوحدة الوطنية قد انعكست آثاره السلبية على مسار القطر السوداني، وابعدته عن تبوء موقع يتناسب مع دوره النضالي، كما عطلت الفرصة لتوفير مناخ التفاعل الحي بين تكوينات السودان الاجتماعية والثقافية، وعطلت، بالتالي، من قدراتها على شق دروبها نحو المستقبل القائم على الوحدة مع التعدد.

ومن اهم ما افرزته هذه الحالة ظاهرتان خطيرتان هما:

الظاهرة الاولى:

ما تمخض عنه بقاء مشكلة الجنوب دون حل حقيقي، منذ ان تجدد التمرد المسلح عام ١٩٨٣، بعد اقدام نظام نميري على تقسيم منطقة الحكم الذاتي للجنوب، مما اثار التكوينات القبلية الاوسع فيه، واعتبرته استخداما للاقلية في الجنوب لتدعيم هيمنة السلطة المركزية، وخروجا على اتفاقية اديس ابابا عام ١٩٧٢.

فجاء التمرد بمنطق جديد، يطوي الشعارات الانفعالية القديمة، ويرفع راية تحرير السودان من مواقع الوحدة، وذلك عن طريق اعادة النظر في كيان السودان ومقوماته وتوازناته.فقد دعا التمرد الاقليات، من عموم السودان، لتوحيد صفوفها، بحسبانها اغلبية في حالة شتات في الوقت الحاضر، فتصبح قادرة على تأسيس نظام حكم جديد ووطنية سودانية خالصة، لا ترتبط بمفاهيم العروبة او الافريقية، ومن الناحية الفعلية فان هذه الاطروحات الفضفاضة كان يقصد بها النيل من انتماء السودان القومي والحضاري، وتأجيج نعرة التعصب الزنجي ومشاعر الكراهيه لكل ما هو عربي، حتى ولو نادى علنا بالشعارات الديمقراطية المناهضة للدكتاتورية العسكرية والدولة الدينية.

الظاهرة الثانية:

وتتمثل في اكتساب الحركة الدينية ـ السياسية في شمال السودان نفوذا سياسيا واقتصاديا متناميا، بفعل تحالفاتها مع قسم من الطائفية وزعماء الطرق الدينية، ثم نظام نميري، حيث استفادت من اغطية الشرعية، ابان حظر الحريات السياسية، كما انها تحولت الى قوة اقتصادية كبيرة، استنادا لما اتاحته ارتباطاتها الخارجية، وتدفق رؤوس الاموال والمساعدات عليها.

وقد استهدفت تلك الحركة اقامة الدولة الدينية، واتخذت من المطالبة بوضع دستور اسلامي وتقنين الشريعة الاسلامية، ايديولوجية سياسية لها، واستطاعت ان تزاحم الاحزاب التقليدية الطائفية، بالمزايدة باسم الاسلام، وشنت حربها على قوى التقدم والديمقراطيةلتعطيل نموها، بينما نشرت الارهاب السياسي على نطاق واسع واشاعت اجواء الفتنة والهوس الديني.

فقد تحولت الحركة الدينية السياسية، بالتدريج، من موقع المشاركة في الحياة السياسية كاحد تياراتها، الى قطب منفرد، وجاذب لعوامل الفرقة والتنافر، حتى اصبحت علة العلل التي اجهضت الديمقراطية طوال ربع قرن، وعاملا رئيسيا في تعكير صفو التعايش الوطني والديني، بما تقوم به من تخريب لمعاني ومضامين التراث الحضاري وقيم التسامح الاسلامي.

وبعد معاناة طويلة، في ظل الدكتاتورية التي امتدت اطول من غيرها (نظام نميري) ..

استطاعت القوى الوطنية والقومية في السودان ان تفجر انتفاضة شعبية في نيسان ١٩٨٥، مؤكدة بذلك الضرورة التاريخية للديمقراطية، كحاجة وطنية وقومية، في هذه المرحلة من تطور النضال العربي.

وكان مقدرا لهذه التجربة الديمقراطية، ان تضع هذا القطر على الطريق الصحيح، لمواجهة المخاطر، والتغلب على الصعوبات والتحديات التي تعيق نهضته، لولا ان النظام الذي جاء بعد الانتفاضة كان عاجزا عن تحقيق هذه المهمة لاختلال صيغة الحكم، وانفراد القوى التقليدية بالقرار السياسي، دون ان تستفيد من دروس تجاربها السابقة.وقد ادى التزام تلك القوى بنهج النظام (المايوي) السابق، ومراوحتها بين الخضوع لضغوط الجبهة، والتردد في مواجهة تآمرها، الذي انتهى بقفزها الى السلطة، الى تقويض التجربة الديمقراطية الثالثة في السودان.

ان تخبط نظام الحكم الذي جاء انتفاضة آذار / نيسان / ١٩٨٥، وتمحوره في السياسة العربية، علاوة على عجزه عن التصدي لمعالجة ازمة التطور الوطني قد ادى الى عزلته في الداخل والخارج، مما مهد الطريق للانقلاب العسكري في ٣٠ / ٦ / ١٩٨٩، وضياع اربع سنوات من المخاض الذي كان مقدرا له ان ينضج مستوى اعلى من الممارسة الديمقراطية.

ومرة اخرى تتكرر المواجهة، بين عوامل النهضة وبين قوى الارتداد وعوامل الانتكاس والمخططات المعادية للتطور، على المستويين الوطني القومي، ويرى السودان نفسه، من جديد، امام نكسة ديمقراطية جديدة في نضاله الشعبي، وتحت وطأة سيطرة عسكرية، وامام مستوى في

معالجة مشكلاته، لا يرقى الى مستوى استخلاص دروس الماضي القريب والبعيد.

فمشكلات السودان، هي من النوع الذي يحتاج الى حصيلة نضج النضال الوطني والقومي معا، والى افق بعيد في النظرة، يستوعب، الى جانب حاجات المرحلة القومية، خصوصية الاوضاع في السودان، وخصوصية العلاقة بين السودان ومحيطه العربي، وخصوصية الدور الافريقي للسودان العربي، واقع ما يمارسه النظام العسكري الجديد، وتمارسه الجبهة الاسلامية من تزييف بحق هذا الدور.

ولقد وعى حزبنا منذ فترة مبكرة اهمية وضع برنامج نضالي يستوعب خصوصيات القطر السوداني، ويعالج اوضاع التعدد والتنوع والازمات المتكاملة فيه .. ويعبر عن الحدود الدنيا لاخراج السودان من الطريق المسدود الذي يسير فيه، باعتبار ذلك البرنامج المقدمة الضرورية للحد من تردي الاوضاع، واستعادة السودان قدراته على الانطلاق، والاضطلاع بدوره القومي العربي والافريقي والانساني.

وفي مقدمة مهام ذلك البرنامج تأتي البنود التالية:

١. اصلاح النظام السياسي: عن طريق تطوير التجربة التعددية كي تصب في مؤسسة منتخبة، وفق انتخابات تعتمد التمثيل النسبي، وتشارك فيها قطاعات القوى الحديثة حسب ثقلها في الانتاج، وحجمها العددي وفعاليتها السياسية.

ان ذلك هو المدخل للحد من النفوذ التقليدي والولاء الطائفي والعشائري في مؤسسات الحكم، وكذلك تنظيم صيغ المشاركة والعدالة، والتكافؤ السياسي بين القوى السياسية والاجتماعية، وتطوير الديمقراطية وتكييفها، بما يحقق تركيز ودعم الوحدة الوطنية، وتحصينها ضد مخاطر الدكتاتورية العسكرية والدكتاتورية المدنية، المرتكزة على الولاء الطائفي والعشائري، على السواء.

٢. وضع دستور للسودان يعبر عن المضمون الديمقراطي للعلاقات بين ابناء الشعب، ويشكل قاعدة متينة للتشريع واستنباط القوانين، ويستوعب واقع التنوع في اطار الوحدة، ويساوي بين المواطنين دون تمييز، بسبب أي من الخصوصيات الدينية، او الثقافية، او السلالية، او الجهوية.

٣. اتباع مبدأ اللامركزية الادارية في تسيير اوضاع الاقاليم الشمالية، ومعالجة قضية

الجنوب في اطار ضرورة التوصل لحل سلمي ديمقراطي، يقوم على صيغة متطورة للحكم الذاتي، تنطلق من الاعتراف بواقع التمايزفيه عن بقية القطر، بما يعطيه حقا سياسيا في الحكم الذاتي، وحقوقا ثقافية في اطار وحدة القطر، وفي اخضاع التنمية لتوازن دقيق يفي بحاجة السودان لردم شقة التأخر والفوارق المصطنعة بين اقاليمه المختلفة.

٤. حل الازمة الاقتصادية بمراجعة السياسات المالية، والحيلولة دون انجرار برامجها خلف شروط صندوق النقد الدولي، وتوجيه الاقتصاد للانتاج وانعاش القطاع العام وتأهيله كقطاع اقتصادي قائد، وتشجيع القطاع الخاص واطلاق طاقاته في اطار خطة التنمية المركزية، وتحسين شروط الخدمة وترقية الخدمات، ومستوى معيشة ذوي الدخل المحدود، ومحاربة الغلاء والسوق الاسود.

٥. رفض الدولة الدينية من جانب، وتعزيز الايمان والدور المؤمن، من جانب آخر، ورفض الدولة الدينية في السودان، بحسبانها حالة انقسامية تقوم على الاكراه والوصاية والتفرقة، وتتعارض مع مبادئ المواطنة، ولا تجد معانيها ومقاصدها المطروحة سندا جامعا في الدين والتراث والعصر.

٦. النضال السياسي التعبوي لمقاومة التثقيف الشوفيني القائم على اعتبار الاعراق والمعتقدات الدينية اساسا لتحديد الهوية القومية، مع الاعتراف بواقع التمايز الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، بين شمال السودان وجنوبه، واحترام خصائص الاقوام والاقليات ذاتها، والتطلع لابراز شخصيتها والاعتزاز بموروثها المادي والروحي، على طريق التكامل والتعايش بين ابناء السودان، والتآخي بين مكوناته البشرية، قبائل او اقليات دينية او ثقافية.

٧. ابراز الطابع الانساني للقومية العربية، وتعميق مغزى الرابطة العربية كمفهوم حضاري، لا يتناقض مع التكوينات المحلية، او يعيق تفتح شخصيتها والتعبير المبدع عن ذاتها .. فالتفاعل الحضاري مع قسمات الواقع السوداني، ذي التكوين الثقافي والاجتماعي المتعدد، يعزز صيغ التعايش ويعمقها، ويرتقي بمقومات التنوع الى مستوى التكامل والتماسك والانسجام والاغناء للتجربة القومية الانسانية بوجه عام، ويثرى انسانية العروبة في السودان الواحد في مصيره، وفي تطلعه الواحد نحو مستقبل حضاري انساني.

ان تطوير وتعميق مضمون المحاور الاساسية لهذا البرنامج، والتفاف الحركة الشعبية حوله من شأنه ان يؤهل السودان لكي يقوم بدور طليعي، يأخذ مكانه الى جانب القوى الحية في الامة، متجاوزاً كل ما يوضع في طريقه لعرقلة مسيرته الديمقراطية، ودوره القومي التحرري.

صدر من هذه السلسلة



